من احلام بن غوريون الرهيبة!

الدكتور ميخائيل بار - زوهر، واحد من المع المؤرخين الاسرائيليين واكثرهم اطلاعا على الاسرار الخطيرة المطبوخة فى الادوار العليا من مستودعات الحكام الاسرائيليين.

وكان بار - زوهر من اقرب المقربين الى دافيد بن غوريون - "الملك دافيد"، أبرز القادة المتنفذين الاوائل فى الحركة الصهيونية واشدهم جشعا للمزيد من الارض العربية.

صحيح ان كافة المشاريع التوسعية لقادة اسرائيل والحركة الصهيونية محكوم عليها بالفشل التاريخي، لكنه من الاهمية بمكان ان يطلع الانسان العربي، والانسان عامة، على بعض الاحلام الرهيبة التي دومت فى جمجمة بن غوريون.

لقد سجل بن غوريون مذكراته ونشرها على الملأ، غير ان صفحات منها نشرت منفردة فى بعض الصحف الاسرائيلية. وفيما يلي اقدم لكم خلاصة مثيرة من تلك الصفحات، كان قد نشرها الدكتور بار-زوهر العليم بالامور، فى نوفمبر ١٩٦٦.

غب اعلان الاستقلال تسلم بن غوريون مقاليد رئاسة حكومة اسرائيل .. كان الفرح يغمر اسرائيل، الشبان والشابات يرقصون

ويغنون في الشوارع .. اما هو -بن غوريون- فقد كان مغموما .. انه لا يفكر في الحكم ولا فى شؤون الدولة .. ان ذهنه كله مركز في العمليات العسكرية.

ويدور بينه وبين زلمان شزار (رئيس الدولة السابق) نقاش مقتضب ينهيه بن غوريون بقوله: " ان حكمة اسرائيل الان ليست في الخلاص بل في الحرب!".

مصر .. آشور .. وأرام (!!!)

في الرابع والعشرين من ايار .. اى بعد اعلان الدولة بعشرة ايام كتب الشيخ فى مفكرته: "اقترحت ان نستعد.. وان ننتقل فورا الى الهجوم مستهدفين ضرب لبنان وشرقى الاردن وسوريا. يجب علينا ان نصمد فى النقب، والبرنامج لهذا الاسبوع: تحرير اورشليم واحتلال منطقتها. ولاجل ذلك يجب اضافة قوات، وخاصة السلاح الثقيل، فمن المفترض ان يرسلوا امدادات كبيرة الى اورشليم. فالمعركة على اورشليم هي مركزية من الناحية المعنوية والسياسية والعسكرية، الى مدى بعيد. من واجبنا ان ننظم سلسلة من الكتائب الجديدة وان نعزز القديمة، وان ننشىء كتيبة من رجال منظمة "كرياتى" بقيادة لرر (صدوق). مع تسلم المدافع .. يجب هدم اللد والرملة حالا، ويجب تنظيم كتيبة "ايلية" فى الحال لتتوجه ضد جنين اعدادا للهجوم على وادي الاردن.

يجب ان ترسل امدادات الى "ماكليف" (اصبح فيما بعد رئيسا لاركان الجيش - س. أ) ومهمته هي احتلال لبنان الجنوبي بمساعدة قصف صور وصيدا وبيروت من الجو. ويتم قصف بيروت من البحر

كذلك.

نلقي على عاتق "يغال" ضرب سوريا من الشمال ومن الشرق. على سلاحنا الجوي ان يقصف ويهدم الحلقة الضعيفة في الائتلاف العربي، وهي لبنان.

ان حكم المسلمين اصطناعي ومن السهل زعزعته. يجب اقامة دولة مسيحية يكون حدها الجنوبي نهر الليطاني نعقد معها حلفا. عندما نكسر قوة لبنان ونقصف عمان فاننا نقضي بذلك على شرقي الاردن، وعندها تسقط سوريا. واذا جرؤت مصر على متابعة الحرب فاننا نقصف آنذاك بور سعيد والاسكندرية والقاهرة.

وهكذا ننهى الحرب ونصفي حساب أجدادنا مع مصر وآشور وأرام.

بعد ايام قليلة، وفي الحادى عشر من حزيران سنة ١٩٤٨ اضاف الشيخ فى مفكرته: "فى رايى ان هناك ثلاث جبهات (بخط عام) من ناحية العدو الجغرافية: جبهة اورشليم واواسط البلاد (بما فى ذلك المثلث)، وفى هذه الجبهة واجبنا هو تدمير الجيش الاردني واحتلال المثلث. وجبهة الجنوب التي تضم النقب، وجبهة الجليل الى تضم حيفا. العدو الاساسى فى الجليل هو لبنان وسوريا" ومن ناحية اخرى -القنيطرة ودمشق. فى الجنوب نقف فى الاساس بوجه مصر، حتى يحين دورها بعد ان نكسر قوة الجيش الاردني ونخرج لبنان من اللعبة".

(الى هذا الحد من الحقد الاسود بلغت هستيريا بن غوريون الدموية .. ولكن يبدو ان تصفية حساب اجداده مع مصر وآشور وارام كانت عملا صعبا للغاية فى بعض الاحيان .. فاحلامه باحتلال القدس القديمة وجدت مقاومة عنيفة وفشلت عدة هجمات شنتها قواته، فقرر الاقلاع عن فكرة احتلال القدس مباشرة مفضلا احتلال المنطقة التى

تمل القدس الجديدة بجبل الزيتون، وهذه الفكرة كذلك باءت بالفشل-س.أ)

قدم الشيخ للقيادة فكرة مثيرة: احتلال اللطرون، الزحف نحو مصب الاردن فى البحر الميت من جهة رام الله، احتلال "جيب الخليل" الذى يضم مدينة "الخليل" ومدينة بيت لحم، وتلك المنطقة يسكنها حوالى مائة الف عربى. وقد كتب الشيخ الى احد اصدقائه يقول له: "فكرتى كانت، ان تصبح جميع الطرق المؤدية الى اورشليم فى ايدينا، ونوافق على فرض رقابة دولية على اورشليم القديمة ولكن بدون ان يكون في كل تلك المنطقة حكم عربى. وافترضت-بدون تأكد تام ولكن بوضوح كاف- ان أكثرية عرب اورشليم وبيت لحم والخليل سيهربون .. فنسيطر نحن على عرض البلاد بكامله وكل البحر الميت من جهة الغرب يصبح في ايدينا".

(في تلك الاثناء كان قد تم التوقيع على اتفاقية هدنة، واصبح اى نشاط عسكرى يقتضي "تبريرا" .. وحدث آنذاك ما يتكرر اليوم وما تكرر فى سنة ١٩٥٦ .. وهكذا كان، ففى تلك الايام ولدت فكرة "الرد على الاعمال التخريبية"-س.أ).

لكن، ماذا بشان ذريعة للبدء بالمعارك اثناء الهدنة، ذريعة كهذه تم العثور عليها. فى تلك الايام فجر الجيش الاردني مضخة في انبوب مياه القدس، مما يناقض اتفاقية الهدنة. لم تكن الكارثة كبيرة، لانه كان قد تم في الخفاء مد انبوب أخر. ولكن على ضوء هذا الاخلال بالاتفاق -فقد وجدت ذريعة عملية للجيش الاسرائيلي للبدء في العمل.

قدم بن غوريون اقتراحه الى الحكومة ولكن اغلبية الوزراء عارضته ما عدا وزراء "اليسار" (الاقواس من المعلق) .. ووزيرين

متدينين. وكان خوف المعارضين كبيرا، من رد الفعل العالمي على اية عملية عسكرية اثناء الهدنة.

وفي مذكراته كتب بن غوريون يصف عدم تنفيذ خطته بانه "مبكى للاجيال".

مع .. وضد

إستفاد الشيخ من فشله عندما عارضته الاكثرية من وزراء حكومته .. وقرر ان يحترس من وضع مماثل في المستقبل، فدعا وزراء حزبه الى بيته فى شارع "شديروت كيرن كييمت" وفي ساعات الصباح من اليوم الخامس من شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٨ بدأوا يتوافدون واحدا تلو الآخر .. وعندما عرض عليهم افكاره ابدوا ترددا كبيرا. كذلك فقد عارضه يغآل يدين قائلا ان هجوما اسرائيليا على مصر سيطلق الشرارة التى تشعل من جديد جميع الجبهات وتؤدي الى هجوم عام من جميع الجيوش العربية على اسرائيل.

أما الشيخ فانه لا يؤمن بالتضامن العربي، وهو مقتنع بان الاستراتيجيا التي خططها في بداية الحرب -القضاء على الاعداء واحدا تلو الآخر- ممكنة التطبيق.

أيد بعض الوزراء وعارض آخرون .. ومن المعارضين كان الوزير "ريمز" الذى قال: "حتى الان صمدنا باعجوبة. ومن غير الممكن ان نؤمن دائما بالعجائب".

لكن تأييد الاكثرية كان مضمونا. شاؤول ابيغور وليفى اشكول، اللذان أشتركا في الجلسة، انضما الى موقف بن غوريون.

وبدأ البحث عن ذريعة .. ومن جديد اطلت فكرة "العمليات

التأديبية" .. مصر تمنع وصول قوافل الامدادات الى النقب: هذه حجة جدية لتجديد المعارك. وهكذا كان..

وعرف بن غوريون ان الوقت لا يجرى لمصلحته لذلك فقد حضّ قادة الجيش على الاسراع في العمليات.

مخاوف يغآل يدين تبددت ..فقد علم الاسرائيليون ان اوامر مشددة بعدم التدخل فى المعارك صدرت للجيش الأردني.

وتقدم الجيش الاسرائيلي نحو الجنوب. وسقطت بئر السبع ومناطق اخرى .. وفي تل ابيب تجمهر المصلون حول بيت بن غوريون وهم ينشدون اغاني التوراة. واخرجوه من بيته، وتوجوه "ملكا لاسرائيل".

في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨ سجل بن غوريون فى مفكرته: "الان وبعد ان نعرف على وجه التقريب رد الفعل العالمي (وهذا يقتضى يومين او ثلاثة ايام) يجب ان نبدأ في المثلث: الضغط على جنين وطوباس وطولكرم. واذا وصلنا الى نابلس فلا شك في ان رام الله ستسقط، طلبت من روبين (شيلوح) ان يرسل تلغرافا الى ايبن حول ما حدث وان يطلب منه تقديرا للموقف فى باريس".

وجاء تقدير الموقف يقول: "هجوم على الفالوجة -نعم .. هجوم على المثلث- لا".

يبدو ان بريطانيا لن تسمح بالهجوم على الجبهة الاردنية، ومن المبادىء المقدسة عند بن غوريون كان مبدأ عدم التصادم مع الجيش البريطاني.

في الوقت نفسه، واثناء الهجوم على الفالوجة كان ديان يجرى محادثات السلام السرية مع عبد الله التل قائد منطقة القدس ومع الملك عبد الله نفسه.

على ضوء هذه الاوضاع قرر بن غوريون تجميد مشروع الهجوم

على المثلث (المقصود هنا هو المثلث الكبير - س.أ).

بعد انتهاء الحرب استمر بن غوريون في احلامه التوسعية .. لكنه استطاع ان يحقق كثيرا من هذه الاحلام بدون حرب، فقد تقدم الجيش الاسرائيلي واحتل ايلات بدون اية طلقة .. وكذلك تم اتفاق في معسكر اردنى في الشونة بموجبه يترك الجيش الاردنى وادي عارة بعد ان يخرج العراقيين منه. وفي اتفاقية رودس تم تضمين هذه الاتفاقيات السرية بين الاردن واسرائيل.

(بعد ان تم تسليم المثلث لاسرائيل جاء موظف اسرائيلي كبير الى بن غوريون واقترح عليه ذبح سكان .. "قرية كبيرة في المثلث".. حتى يهرب سكان القرى الاخرى ويتم التخلص من عزب المنطقة .. لكن بن غوريون رفض هذه الفكرة لاسباب لم يعلنها).

بعد ان توقفت العمليات العسكرية زار بن غوريون عدد من الكتاب ورجال الفكر الاسرائيليين.

في ذلك الاجتماع قال بن غوريون: "لقد حررنا مساحة اكبر مما توقعنا. لدينا الان عمل لجيلين او لثلاثة أجيال .. وبعدين-منشوف" !